الخطبة الأولى

الحمدُ لله المتفرد بوحدانية الألوهية، المتعزز بعظمة الربوبية، القائم على نفوس العالم بآجالها، العالم بتقلبها وأحوالها، المان عليهم بتواتر ألائه، والمُتفضل عليهم بِسوابغ نعمائه، الذي خلق الخلق حين أراد؛ بلا معين ولا مشير، وأنشأ الخلق كما أراد بلا شبيه ولا نظير؛ فمضت فيهم بحكمته إرادته، ونفذت فيهم بقدرته مشيئته فهم على طبقات أقدارهم يمشون، وفيما قُضي وقُدر عليهم يهيمون، وكل حزب بما لديهم فرِحون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خالق السماوات العُلا، ومنشئ الأرضين والثرى، وأشهد أن محمدا عبده المُجتبى، ونبيه المصطفى ﷺ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [العمران:102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:1]

{{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب 70 – 71]

ثم أما بعد :-

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي؛ هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها؛ وكل محدثة بدعة؛ وكل بدعة ضلالة؛ وكل ضلالة في النار

ثُم أما بعد:-

فإن الله-تبارك وتعالى- هو العليم الحكيم

هو تبارك وتعالى العليم الذي علم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهو تبارك وتعالى الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه لا يفعل شيئا عبثاً.

لبيك اللهم لبيك- لبيك وسعديك، والخير كله في يديك.

والشر ليس إليك.

ليس في أسمائه شر، ولا في صفاته شر، ولا في أفعاله شر؛ فأفعاله كلها تبارك وتعالى خير مطلق؛ أفعاله متعلقة بمشيئته المطلقة، ومشيئته متعلقة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة متعلقة بالخير المطلق

فهو عز وجل لا يفعل إلا الخير.

قضى الله-عز وجل- العليم الحكيم؛ أن تكون حياة الإنسان في هذه الدنيا امتحاناً، وابتلاءً، واختباراً.

قال تعالى:{ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ٢﴾ [الملك ١-٢]

{وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ} [الأنعام:165]

:{وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان ٢٠]

{ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ* ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ}

[البقرة:155-156]

جعلها الله-تبارك وتعالى- دار بلاء، وفتنة، دار ممر وليست دار مستقر؛ إنما هي أيام معدودات، وأنفاس معدودات، والعبد بعدها منقلب إلى عاقبته من نعيم الأبد، أو هلاك الأبد على حسب ما اشترى، وعلى حسب ما كسب في هذه الحياة الدنيا.

فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾
[الزلزلة:7-8]

إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ{:
مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ٨﴾ [الكهف:7-8]

كل من عليها يفنى عباد الله، كل ما عليها سوف ينقلب إلى التراب كان مبدأه تراب وسيعود إلى التراب، كل المباني عباد الله، كل ناطحات السحاب، كل زينة الدنيا، كل زخرفها، كل من عليها يفنى، كل من عليها يضمحل.

{ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨﴾ [القصص:٨٨]

{ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ}[الرحمن:26-27]

ينقلب الانسان عباد الله بعد مسيرة حياته الله تبارك وتعالى.

:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ} [الإنشقاق:6]

تلقى الله- تبارك وتعالى-{ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ}
[مريم:40]

ترجع إليه وحيداً، فريداً هكذا قال تعالى:{ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ [الأنعام ٩٤]

{إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا* لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ٩٥﴾ [مريم ٩٤-٩٥]

تقف بين يديه- عز وجل- يُحاسبك على كل صغيرة، وكبيرة، تنسى هُنالك كل ما كان من الدنيا، كُل ما كان من نعيمها، كل ما كان من لذتها وسلطانها؛ هذا المقام العظيم الذي من جعله نصب عينيه طيلة حياته يفوز الفوز العظيم

{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}[الرحمن:46]

ذاك المقام هو مقامك بين يدي الله- الله تبارك وتعالى يكلمك

قال-ﷺ-{ ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمُه اللهُ يومَ القيامةِ ، ليس بينه وبينه تَرجمانُ،

فيقولُ: أيْ فُلُ (أي يا فُلان) ألمْ أُكرِمْك ألمْ أُسوِّدْك ألمْ أُزوِّجْك ألمْ أُسخِّرْ لك الخيلَ والإبلَ وأترُكْكَ ترأَسُ وتربَعُ

قال: فيقولُ: بلى يا ربِّ

قال: فظننْتَ أنَّك ملاقيَّ ؟

قال: لا يا ربِّ

قال: فاليومَ أنساك كما نسيتَني }

هكذا عباد الله يكون الخطاب بينك، وبين الله- عز وجل- يؤتى بالعالم، يؤتى بقارئ القرآن، يؤتى بالمجاهد في سبيل الله، يؤتى عباد الله بمن أنفق ماله في -سبيل الله يقف بين يديه الله-تبارك وتعالى

{إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يومَ القِيامَةِ عليه رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها،

قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟

.قالَ: قاتَلْتُ فِيكَ حتَّى اسْتُشْهِدْتُ

قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ قاتَلْتَ لأَنْ يُقالَ جَرِيءٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ علَى وجْهِهِ حتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ، ورَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ، وعَلَّمَهُ وقَرَأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها.

قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟

قالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ، وعَلَّمْتُهُ وقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقالَ: عالِمٌ، وقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقالَ هو قارِئٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ علَى وجْهِهِ حتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ، ورَجُلٌ وسَّعَ اللهُ عليه، وأَعْطاهُ مِن أصْنافِ المالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها.

قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟

قالَ: ما تَرَكْتُ مِن سَبِيلٍ تُحِبُّ أنْ يُنْفَقَ فيها إلَّا أنْفَقْتُ فيها لَكَ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقالَ: هو جَوادٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ علَى وجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ في النَّارِ}

الكل يحاسب حتى المحسنين في الظاهر، حتى الطائعين في الظاهر، كل يحاسب عباد الله، كل يقف بين يديه لا تسأل فقط عن العمل

وإنما تُسأل أيضاً عن نيتك، تُسأل أيضاً عن خوفك وخشيتك، تُسأل عن مقصودك في كل عمل،

:{وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ}[النجم:39]

وليس كل سعي نافع!

{ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ } [النجم:40]

سوف يُرى ذلك السعي ما هو مقبول منه، وما هو حابطٌ؛ لأنه لم يكن لوجه الله- تبارك وتعالى-

قال اللهُ {أنا أغْنَى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ ، مَنْ عمِلَ عملاً أشركَ فيه معِيَ تركتُهُ وشِركَهُ}[أخرجه مسلم]

هكذا تمضي دورة الحياة الدنيا عباد الله أيام معدودات، ونعود بعدها إلى التراب؛ أيام معدودات؛ إما أن تُعمرها بالحسنات- حسنات تبقى بعد موتك حسنات جارية، وإما أن تُعمرها بالسيئات، وليس فقط سيئات؛ بل سيئات جارية تموت أنت ولا تموت هذه السيئات؛ فيبقى الميزان يُثقل، ويُثقل بالسيئات عباد الله، الكل هكذا تمضي به دورة الحياة، والناس ينقسمون إلى قسمين: علية وسفلة

1- فالعِلية: هم الذين سلكوا الطريق إلي ربهم، هم الذين صبروا، وصابروا، ورابطوا، هم الذين خافوا، ورجوا، وأحبوا، هم الذين صاموا، وصلوا، وحنفوا، وجاهدوا في الله حق الجهاد .

2- والسَفلة: هم الذين أعرضوا عن الله- عز وجل، بدلاً من أن يسجدوا لله؛ سجدوا لألهتِهم، سجدوا لأهوائهم، سجدوا للدرهم والدينار، والقطيفة، والخميصة، استهلكوا حيواتهم عباد الله في سبيل التراب، في سبيل الدنيا، في سبيل زينتها، وهؤلاء يكونوا عاقبتهم يومئذٍ الخسران.

{وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر ١-٣]

المؤمن العاقل عباد الله هو الذي يختار لنفسه الطريق منذ الأن، يختار لنفسه الطريق الذي يعيش به حياته

ويعمر بها أوقاته، ويعلم أن كل نفس، وكل لحظة، وكل يوم، كل ليل، كل نهار، كل مرحلة من مراحل يومه؛ تنقله في مرحلة سفره إلى الله تبارك وتعالى.

تُقربه إلى القبر، تقربه إلى لقاء الله تبارك وتعالى؛ فيعد لهذا اللقاء عباد الله عدته، يعد لسؤال الله يوم القيامة جواباً، ويعد للجواب صواباً

{وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ }[الصافات:24]

{فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}[الحجر:92-93]

المؤمن يعلم عباد الله من الذي خلقه؟ ولماذا خلقه؟ وإلى أين المصير؟

المؤمن يدرك ذلك،،يدرك أن ما أصابه لم يكن يخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، يدرك أنه هنا في دار ممر، ودار محنة، وبلاء؛ ولذلك إذا ابتلي بقوارع الدهر، ومصائب الدنيا لا يتسخط، لا يتهم ربه بالظلم؛ وإنما يفهم أن هذا ما هو إلا اختبار؛ ليري الله منه الصبر، ليري الله منه الرضا؛ ليري الله منه الشكر .

قال-ﷺ -{ عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له.}
[اخرجه مسلم]

المؤمن حياته مختلفة عباد الله عن حياة الناس، المؤمن لا يعيش الدنيا في قصة درامية،،في قصة يُبَرر فيها للإجرام، ويبرر فيها للعصيان، ويبرر فيها للخروج عن طاعة الرحمن تبارك وتعالى.

المؤمن يعلم أن الذي خلقه وأرسله في هذه الحياة الدنيا؛ هو منقلب إليه بعد قليل، وسوف يحاسبه على كل صغيرة وكبيرة.

{ مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف ٤٩]

المؤمن يوقن ان الله لا يظلم مثقال ذرة.

{وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمَۢا ٤٠﴾ [النساء:40]

{ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ}[البقرة:286]

لا يكلفها بالأوامر الشرعية إلا ما في وسعك، ولا يقضي عليك قضاء، ولا يصيبك بمصيبة إلا وأنت في وسعك وطاقتك؛ أن تصبر عليها.

لا يكلفك بالصبر إلا على ما تطيق، وأنت تطيق ذلك؛

ولكن أكثر الناس لضعف قلوبهم، وسوء ظنهم بالله تبارك وتعالى يتسخطون على الأقدار؛ بل يتهمون ربهم تبارك وتعالى بالظلم؛ بل يوشك أن يقعوا في الشرك والكفر، وإنكار وجود الله بسبب المصيبة، أو بسبب داهية، أو بسبب محنة ليس كذلك المؤمن .

المؤمن إن أصابه ضراء صبر علم؛ أنه قضاء الله- تبارك وتعالى، والله لا يريد ان يعذبه .

{ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ}[النساء:147]

الله يبتليك ليرى صبرك، الله يبتليك ليرفع لك درجاتك، الله يبتليك ليكفر عنك سيئاتك؛ إن عِظِم الجزاء مع عِظِم البلاء .

وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم كما قال- ﷺ .

قال-ﷺ-{فما يبرَحُ البلاءُ بالعبدِ حتَّى يمشيَ على الأرضِ وما عليه خطيئةٌ}

قال-ﷺ -{إنَّ العبدَ إذا سبقتْ له من اللهِ منزلةٌ فلم يبلُغْها بعملٍ ؛ ابتلاه اللهُ في جسدِه أو مالِه أو في ولدِه ، ثم صبر على ذلك حتى يُبلِّغَه المنزلةَ التي سبقتْ له من اللهِ عزَّ وجلَّ }

الله- تبارك وتعالى- لا يظلم العباد، ولكن العباد أنفسهم يظلمون حين لم يعرفوا ربهم، حين لم يدركوا حقيقة الاختبار، حين عاشوا حياتهم لهواً، ولعباً، وإعراضاً عن الله تبارك وتعالى هنالك يعيشون الضنك ألوانا.

{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ [طه ١٢٤-١٢٦]

إذا قرأت القرآن، وإذا سلكت الطريق إلى ربك-تبارك وتعالى علمت أن معولك في هذه الحياة هو الصبر.

{ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر ١٠]

قال:" قتادة "لا يكال لهم بمكيال، ولا يوزن لهم بميزان؛ وإنما ينهمر عليهم الأجر انهماراً كالمطر

لماذا؟

لأنهم صبروا، وصابروا.

ومن أجل هذا أوجدك الله في هذه الحياة؛ لكي تصبر على عبادته حتى تلقاه، لكي تعبد الله حتى يأتيك اليقين، لكي تصبر على الضراء فلا تكفر، تصبر على السراء فلا تُطغيك، وتصبر على الضراء فلا تجعلك تسخط على الله عز وجل، ولا تتسخط قدره؛ فأنت بين الصبر والشكر تتقلب في العبادة لله تبارك وتعالى .

المؤمن يعيش صابراً محتسباً صابراً على طاعة الله يلتزم بها، صابراً عن معصية الله يجتنبها، صابراً على اقدار الله المؤلمة يصبر ويري الله عز وجل صبره، ويري الله رضاه، ويثني على الله بما هو أهله .

العبد الحق عباد الله؛ إنما يمتحن إيمانه، ويمتحن دينه عند محك البلاء.

قال:" الحسن البصري" : إن الناس تساووا في العافية؛ فإذا نزل البلاء تمايزوا.

اخرج الإمام البخاري والإمام مسلم من حديث انس رضي الله عنه:

{مَرَّ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ،

فَقالَ: اتَّقِي اللهَّ واصْبِرِي

.قالَتْ: إلَيْكَ عَنِّي، فإنَّكَ لَمْ تُصَبْ بمُصِيبَتِي، ولَمْ تَعْرِفْهُ

فقِيلَ لَهَا: إنَّه النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأتَتْ بَابَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ،

فَقالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ.

فَقالَ: إنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى}[أخرجه البُخاري ومُسلم]

هكذا عباد الله هذه نفسية أكثر البشر حين يبتلى بالبلاء يظن أنه نهاية العالم، يظن أنه ابتلي ببلاء لم يبتلى به أحد من العالمين، هو هكذا نصيبه، هو هكذا حظه، هكذا يقول !!

يعيش دور الضحية، يعيش دور أنه ابتلي ببلاء لم يبتلى به أحد من العالمين، وقد يكون الذي بجانبه قد ابتلي بلاء هو أضعاف أضعاف بلائه؛ ولكنه لا يعلم شيئاً.

هو محدود في علمه، هو ظلوم، هو جهول في الحقيقة كما هو غاية الإنسان، وكما هي صفة الإنسان الذي لم يتحلى بالإيمان، ولم يتهذب بمعرفة الله- تبارك وتعالى.

،قالت: له المرأة حين قال لها اتق الله واصبري

قالت: إليك عني؛ فإنك لم تصب بمصيبتي.

السؤال عباد الله هل رسول الله- ﷺ -لم يصب بمصيبتها؟!

النبي- ﷺ -الذي فقد كل أبنائه في حياته إلا فاطمة- رضي الله عنها، النبي-ﷺ -الذي فقد عمه وفقد زوجه، النبي-ﷺ - الذي أخرج من وطنه ظلماً، النبي- ﷺ -الذي سمي بالشاة المسمومة من اليهود،

النبي- ﷺ - الذي كسرت رباعيته، وشج رأسه في" أُحد " ،

النبي-ﷺ - الذي أُتهم في عرضه في عائشة من المنافقين.

النبي لم يصب بمصيبتها!!

هكذا أكثر الخلق يتعاملون مع أزمات غيرهم باستخفاف وتحقير، وينظرون إلى أوجاعهم ، وألامهم بتضخيم عباد الله، ومبالغة وغلو حتى ينقلهم هذه المبالغة والغلو إلى شدة الهم، وشدة الحزن، وشدة الضنك بل تنقلهم إلى التسخط، بل تنقلهم إلى عدم الرضا بأقضية الله واقداره، بل تنقلهم إلى اتهام الرب- تبارك وتعالى بالظلم.

قال: لها اتق الله واصبري.

قالت: إليك عني؛ فإنك لم تصب بمصيبتي.

فمر-ﷺ -عنها بكل هدوء،

ثم قيل لها أنه رسول الله ما الذي قولتيه؟

ما الذي خاطبتيه به؟

انظر إلى هدوءه- ﷺ - انظر إلى صبره صلى الله عليه وسلم.

قال-ﷺ -{ المؤمِنُ الذي يُخالِطُ الناسِ و يَصبِرُ على أذاهُمْ ، أفضلُ من المؤمِنِ الَّذي لا يُخالِطُ النَّاسَ و لا يَصبرُ على أذاهُمْ} [أخرجه ابن ماجه]

و يكون في سبيل دعوتهم إلى الحق، سبيل استنقاذهم من النار، سبيل إرادة غفران ذنوبهم، وقربهم من ربهم تبارك وتعالى.

إن كان أحد أحق بالصبر على أذى الناس؛ فهم الأنبياء، وأتباع الأنبياء من ورثة الأنبياء من العلماء، والدعاة والمصلحين في كل زمان ومكان.

لا إصلاح بغير صبر عباد الله، لا إصلاح بغير مخالطة الناس وصبر على أذاهم.

جاء أعرابي للنبي- ﷺ -فجذبه من شَملَته الشريفة- صلى الله عليه وسلم-حتى أثرت في عنقه،

وقال: أعطني من مال الله يا محمد؛ فإنه ليس مالك، ولا مال ابيك، ولا امك.

فهم الصحابة أن يقتلوه.

فتبسم رسول الله- ﷺ - وقال يرحم الله أخي موسى لقد اوذي أكثر من هذا فصبر.

يُعزي نفسه بموسى- عليه السلام -الذي ظل يعالج بني اسرائيل معالجة طويلة ولم يستجيبوا ايضاً، ومات موسى-عليه السلام- ولم يدخل الأرض المقدسة، ومات في سنوات التيه التي كانت عقوبة على بني إسرائيل بسبب عصيانهم ومخالفتهم.

كان-ﷺ- يعزي نفسه بموسى- عليه السلام- في صبره على دعوته، في صبره على معالجة الناس، ومخالطة الناس مر -ﷺ - في كل هدوء لم يعاتبها، ولم يقل لها أنا أكثر بلاء منك، وأشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل ؛ بل مر في كل هدوء

فقيل لها أنه رسول الله- صلى الله عليه وسلم -فذهبت إليه ولم تجد على بابه حُجَّاباً

ثم قالت له معذرة لم أعرفك

فأعطاها النبي- ﷺ-المفتاح الذي به تفتح كل أزمات الحياة، المفتاح الذي به تحول المِحن إلى مِنَح، والمصائب إلى أُجور وثواب عند الله، نقف معا في الخطبة الثانية أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين له الحمد الحسن، والثناء الجميل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يقول الحق وهو يهدي السبيل، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله عليه وأله وصحبه وسلم

ثم أما بعد.

حض النبي- ﷺ - على كثر ذكر الموت. وقال:{ أكثروا ذكرَ هاذمِ اللَّذاتِ الموتِ ؛ فإنَّه لَم يذْكُرْه أحدٌ في ضيقٍ مِن العَيشِ إلَّا وسَّعَه علَيهِ ، و لا ذَكرَه في سَعةٍ إلَّا ضيَّقَها عليهِ}

حين تذكر الموت كثيراً؛ فإنك تخرُج بنتيجة من هذا الذكر أن الدنيا ما هي إلا أيام وتمر.

الدنيا تمر عباد الله ألمُها يمر، وفرحها يمر، حُزنها يمر، وسرورها يمر، الكل يمر.

المعصية تمر ويبقى الوزر، والطاعة تمر ويبقى الأجر؛ فلو أدركت انك هنا لوقت مؤقت، وأنك محكوم عليك بالإعدام أي الموت مع وقف التنفيذ، وأنك لا تدري متى يأتي هذا التنفيذ؟

ستكون دائماً مستعداً، ستكون دائما تتعامل مع الدنيا على أنها ورقة إمتحان ، وأسئله تريد الإجابة قبل سحب الورقة، ستعامل كل مِحنة على أنها سؤال لابد أن أجيب عليه، كل قرار، كل موقف، كل إحساس، كل شعور، كل كلمة، كل حركة، كل سكنة؛ ستجعلها عبادة.

{قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام ١٦٢-١٦٣]

ستكون العافية بلاء، وسيكون الشدة بلاء،

{وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء:٣٥]

العافية سؤال: إجابته الشكر

الشدة سؤال: إجابتها الصبر.

فستكون كل أحوالك أن تعد العُدة؛ لكي تقف بين يدي الله في ذاك المقام.

{ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}[الرحمن:46]

لذلك قال صلى الله عليه وسلم :{تعرَّفْ إلى اللهِ في الرخاءِ يعرفُك في الشدَّةِ}

في وقت رخائك لا تكون لاهياً، لا تكون لاعباً لا تظن أن النعم ملكك قد تنزع في أي لحظة

حين ترى النعمة معك تعرف إلى الله بشكرها، تعرف إلى الله بشكرها لكي يزيدك ويحفظها عليك، تعرف إلى الله بمعرفه أسمائه وصفاته، وحكمته، وخبرته، وعلمه، تعرف إلى الله وتزود بالإيمان؛ فإذا نزعت منك النعمة يعرفك الله في الشدة؛ فيثبت قلبك على الصبر.

{ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ}[النحل:127]

إياك أن تظن أنك الذي ستصبر عند الصدمة الاولى.

"الله " الذي يُصبرك

"الله " الذي يلهمك

"الله " الذي يوفقك

وهذا من رصيد التعرف إليه في وقت الرخاء.

قال-ﷺ-{ احفظِ اللهَ يحفظْك ، احفظِ اللهَ تجدْه أمامَك، إذا سألتَ فاسْألِ اللهَ ، وإذا استعنتَ فاسْتعنْ باللهِ }

واعلم عبد الله إنك في كل أحوالك فقير مضطر إلى الله عز وجل.

الناس إذا وقعوا في أزمة، إذا وقعوا في ضراء يهرعوا إلي الله.

{ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا} [الإسراء:67]

{وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾ [لقمان: ٣٢]

يتركوا كل الالهة يا رب { لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣]

فإذا عادوا إلى البر، إذا عاد الأمر إلى العافية؛ نسوا الله؛ هذا لا يوفق بعد هذا عباد الله إذا اصابته المصيبة؛ أن يصبر، وأن يحتسب.

اعلم أنك مضطر إلى الله في كل نفس في عافيتك، وفي بلائك ، في شدتك وفي رخائك، أنت مضطر إليه منكسر اليه.

نِعمَك ليست ملكك، أنفاسك ليست ملكك، أعضائك ليست ملكك، روحك وحياتك، وحياة من تُحب ليست ملكك

" إنا لله وإنا إليه راجعون"

إنا مِلْكُ لله، وإنا إليه راجعون ياخذ ما يشاء، ويعطي ما يشاء.

ألا أنه أعطاك من غيرِ أن تطلب الحياة، وأوجدك في هذه الحياة؛ تظن أن هذه الحياة ملكك؟

أو لا أنه أعطاك النعم المأكل، والمشرب، والمنكح والملبس، والأقارب، والأحباب تظن أن هذا ملكك؟

أنت هنا قد أتيت بلا إذن منك ولا إختيار ؛ الله الذي أتى بك؛ لذلك اعلم أنك ملك له؛ إذا تعرفت إلى الله بهذه المعاني في الرخاء؛ ثبت الله قلبك في الشدة؛ لذلك حين قالت له معذرة لم أعرفك؛

"فقال: لها " إنما الصبر عند الصدمة الاولى

ليس الصبر بعد أن تمضي الصدمة، وأن تلطم الخدود، وتشق الجيوب، ولابد ان نصبر بعد ايام وشهور ! لابد أن نصبر!!

هذا صبر ليس لك أجر فيه؛ إنما الصبر عند وقوع الصدمة

"تقول" إنا لله وإنا إليه راجعون

وهذا لا يكون إلا بتوفيق الله- عز وجل

{وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ}[النحل:127]

يكون من عِلمك أن الدنيا إبتلاء، وبلاء، ودار ممر ليست دار مُستقر؛ وأنك مُتكبد فيها، كادحٌ فيها مُنقلب إلى الله- تبارك وتعالى، ملك لله، فقير إلى الله، مُضطر إلى الله وإليه راجعون، وإليه عائد.

:{ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ* أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة ١٥٧]

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم

اللهم اغفر لنا ذنُوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا علي القوم الكافرين .

اللهم هيئ لهذه الأمة أمر رُشد يُعز فيها أهل طاعتك ، ويهدي فيه ويُتاب علي أهل معصيتك، ويأمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر .

اللهم أقم علم الجهاد، وأقمع أهل الزيغ والعناد ، وأذن لخلافتك أن تعود ، ولشريعتك أن تسود، ومكن دينك في الأرض وافتح لهم قلوب الناس .

اللهم استعملنا ولا تستبدل بنا غيرنا .

اللهم اجعلنا من جنودك الذين تستعملهم في طاعتك ونُصرة دينك.

اللهم ارحم موتانا وموتي المسلمين، وفُك أسرنا وأسري المسلمين ، واشفي مرضانا ومرضي المسلمين.

اللهم فرج الهم عن المهمومين، واقض عنا الدين عن المدينين ، ونفس الكرب عن المكروبين.

ربنا أتنا في الدنيا حسنة وفي الأخرة حسنة وقنا عذاب النار .

واغفر للمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، والمُحسنين والمُحسنات الأحياء منهم والأموات.

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم .

وأقم الصلاة.